

7

الكتاب

الكتاب

بقلم: ١٠. عبد الحميد عبد القادر

رسوم: ١٠. عبد الشافي سيد

إشراف: ١٠. حمدي مصطفى



أَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمَ «عَادٍ» بِكُفْرِهِمْ وَعِندَانِهِمْ
وَعِصْيَانِهِمْ نَبِيِّهِمْ هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

ثُمَّ أَوْرَثَ اللَّهُ تَعَالَى أَرْضَ «عَادٍ» وَدِيَارَهُمْ لِقَوْمٍ
آخَرِينَ ، هُمْ قَوْمُ «ثَمُودَ» ..

فَعَمَّرَ أَهْلُ «ثَمُودَ» الدِّيَارَ ، وَفَجَّرُوا الْعَيْنُونَ ، وَغَرَسُوا
الْحَدَائِقَ وَالْبَسَاتِينِ ، وَنَحَتُوا لَهُمْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ،
فَعَاشُوا فِي أَمَانٍ مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ ، وَتَقَلُّبَاتِ الزَّمَانِ ..
وَزَادَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمَ «ثَمُودَ» نِعْمًا عَلَى نِعَمٍ ، فَوَسَّعَ

لَهُمْ فِي أَشْجَابِ الْعَيْشِ ، وَفُتِحَ لَهُمْ أَبْوَابُ الرِّزْقِ ،

وَسَهِّلَ لَهُمْ سَبِيلَ الْحَيَاةِ .. وَمَدَّ لَهُمْ فِي أَعْمَارِهِمْ ..

فَكَيْفَ قَابَلَ قَوْمُ « ثَمُودَ » نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ؟

هَلْ حَمَدُوا اللَّهَ وَشَكَرُوهُ ، أَمْ أَنَّهُمْ جَحَدُوهُ ؟

هَلْ عَبَدُوا اللَّهَ وَوَحَّدُوهُ ، أَمْ أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا مَعَهُ فِي

الْعِبَادَةِ ، وَكَفَرُوا ؟

لَقَدْ قَابَلَ قَوْمُ « ثَمُودَ » كُلَّ هَذِهِ النِّعَمِ بِالْجُحُودِ

وَالْإِنْكَارِ .. لَمْ يَفْعَلُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَهُ

وَفَضْلَهُ .. عَبَدُوا الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ ، وَأَشْرَكُوا بِهِ ،

وَأَعْرَضُوا عَنْ ذِكْرِهِ ..

بَعَدُوا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهُدَايَةِ ، وَأَتَّجَهُوا إِلَى طَرِيقِ

الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ ..

أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ ، وَاعْتَدَى الْقَوِيُّ مِنْهُمْ عَلَى

الضَّعِيفِ ، وَسَلَبَ حُقُوقَهُ ..

اسْتَكْبَرُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِي هَذَا النِّعَمِ ،

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَافِلٌ عَنْ حِسَابِهِمْ وَعِقَابِهِمْ ..

ظَنُّوا أَنَّ يَبُوتَهُمْ وَحُصُونَهُمْ سَتَمْنَعُهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ..

وَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُخْرِجَ قَوْمَ « ثَمُودَ » مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَمِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى ، وَمِنَ الظُّلْمِ إِلَى الْعَدْلِ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ رَجُلًا صَالِحًا ، وَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ ..

كَانَ هَذَا الرَّجُلُ ، الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، لِيُرْسِلَهُ بِرِسَالَتِهِ إِلَى قَوْمِ « ثَمُودَ » .. هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ صَالِحٌ عليه السلام .
كَانَ صَالِحٌ وَاحِدًا مِنْ قَوْمِ « ثَمُودَ » وَكَانَ مِنْ أَشْرَفِهِمْ نَسَبًا ، وَأَكْثَرِهِمْ حِلْمًا ، وَأَصْفَاهُمْ عَقْلًا ، وَأَطْهَرِهِمْ قَلْبًا ، وَأَشَدَّهُمْ صِلَاحًا ، وَخَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .. وَلِهَذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لِيَهْدِيَ بِهِمْ ..

ذَهَبَ نَبِيُّ اللَّهِ صَالِحٌ عليه السلام إِلَى قَوْمِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ :
- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ بِرِسَالَتِهِ ..

دَعَا صَالِحٌ قَوْمَهُ إِلَى تَرْكِ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَتَوْحِيدِهِ ..

قال لهم صالح ﷺ :

- يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ..
عَبُدُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ، وَأَعْطَاكُمْ الْكَثِيرَ مِنَ النِّعَمِ ..

وقال لهم صالح :

- كَيْفَ تَتْرَكُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، وَتَعْبُدُونَ هَذِهِ
الْأَشْيَاءَ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ..
فَلَمْ يَنْصِبِ الْقَوْمُ لِحَدِيثِهِ ، وَلِذَلِكَ أَخَذَ صَالِحٌ ﷺ
بِذِكْرِهِمْ بِأُمُورٍ عَدِيدَةٍ ، وَتَلَفَّتْ أَتْبَاعُهُمْ إِلَيْهَا ..



قال لهم صالح : إِنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، تَرِيطُهُ بِهِمْ
أَوَاصِرُ الْقُرْتَبَى وَالنَّسَبِ ، فَهُمْ أَبْنَاءُ عَشِيرَتِهِ ، وَهُوَ يُحِبُّ
لَهُمُ الْخَيْرَ ..

وقال لهم : إِنَّهُ لَا يُضْمِرُ لَهُمْ سُوءًا ، وَلَا يَرِيدُ بِهِمْ شَرًّا ..
وَأَمَرَهُمْ صَالِحٌ ﷺ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ ،
مِنْ ذُنُوبِهِمْ الَّتِي اقْتَرَفُوهَا فِي حَقِّ اللَّهِ ، وَفِي حَقِّ أَنْفُسِهِمْ ،
وَفِي حَقِّ غَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ ..

قال لهم صالح ﷺ : إِنَّ اللَّهَ قَرِيبٌ لِمَنْ دَعَاهُ ، سَرِيعُ
الْإِجَابَةِ لِمَنْ سَأَلَهُ ، غَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ ..

صَمَّ قَوْمٌ « ثَمُودَ » أَذَانَهُمْ عَنِ الْاسْتِمَاعِ إِلَى دَعْوَةِ
نَبِيِّهِمْ صَالِحٍ ﷺ بَلْ وَسَخِرُوا مِنْهُ ، وَأَنكَرُوا عَلَيْهِ أَنْ
يَكُونَ نَبِيًّا .. قَالُوا لَهُ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ
يَصَدِّقُوا هَذَا الْكَلَامَ ، الَّذِي يَقُولُهُ ..

قَالُوا لِصَالِحٍ ﷺ :

- يَا صَالِحُ ، لَقَدْ عَهِدْنَاكَ رَاجِعَ الْعَقْلِ ، ثَابِتِ
الْفِكْرَ ، فَاعْلَمْ لِلْخَيْرِ ، فَكَيْفَ تَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ

ما كَانَ يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَجْدَادُنَا ؟ إِنَّا فِي شَكِّ

مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ .. لَنْ نَتْرَكَ إِلَهَتَنَا ، لَنَعْبُدَ
إِلَهَكَ ..

فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ : إِنَّهُ لَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ أَجْرًا ،
وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ زَعِيمًا ، أَوْ رَئِيسًا عَلَيْهِمْ ، فِي
مُقَابِلِ دَعْوَتِهِ لَهُمْ ، لِأَنَّهُ جَزَاءُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ..

وَبَرَّغَمَ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَزُمْ بِصَالِحِ إِلَّا قَلَّةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ ،
وَالضُّعْفَاءِ .. أَمَّا الْأَغْنِيَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ مِنَ عِلْيَةِ الْقَوْمِ ، فَلَمْ
يُؤْمِنُوا بِرِسَالَتِهِ ، بَلْ سَخِرُوا مِنْ صَالِحٍ ، وَقَالُوا لَهُ :

- مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا .. أَنْتَ لَسْتَ أَغْنَانَا وَلَا أَفْضَلُنَا ..
إِنَّ فِينَا مَنْ هُوَ أَكْثَرُ غِنًى وَقُوَّةً وَأَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مِنْكَ ..
يَجِبُ أَنْ تَكْفُفَ عَنْ دَعْوَتِكَ وَتَعُودَ لِعِبَادَةِ إِلَهَتِنَا ..

فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- إِنِّي عَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَقَدْ آتَانِي رَحْمَةٌ مِنْهُ ..
كَيْفَ أَنْصِتُ إِلَى غَوَايَتِكُمْ ، وَأَعْصِي رَبِّي ؟ إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ
ذَلِكَ ، فَمَنْ يَمْنَعُنِي عَذَابَ اللَّهِ ، وَعِقَابَهُ لِي ؟

ما أنتم إلا قومٌ مُفْتَرُونَ ..

فلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْقَوْمِ التِّفَافَ الْفُقَرَاءَ وَالضُّعَافَ
حَوْلَ صَالِحٍ ، وَتَصَدِّيقَهُمْ لَهُ ، خَافُوا أَنْ يَنْصَرِفَ
الضُّعَفَاءُ عَنْ طَاعَتِهِمْ ، فَيَزُولَ سُلْطَانُهُمْ ، وَتَضِيعَ
سَطْوَتُهُمْ وَهَيْبَتُهُمْ ..

وَلِذَلِكَ فَكَّرُوا فِي حِيلَةٍ يُخْرِجُونَ بِهَا صَالِحًا أَمَامَ
اتِّبَاعِهِ .. طَلَبُوا مِنْ صَالِحٍ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِمُعْجِزَةٍ تُثَبِّتُ
لَهُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ .. فَلَمَّا طَلَبُوا مِنْ صَالِحٍ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِهَذِهِ
الْمُعْجِزَةِ ، دَعَا صَالِحٌ رَبَّهُ أَنْ يُؤَيِّدَهُ بِهَذِهِ الْمُعْجِزَةِ ..



وَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَ نَبِيِّهِ صَالِحٍ ﷺ فَأَخْرَجَ
لِقَوْمِهِ ثَمُودَ « نَاقَةً مِنْ صُخُورِ الْجَبَلِ .. نَاقَةً بَاهِرَةً لَمْ
يَرَ الْقَوْمُ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ » ..

وَكَانَتْ النَّاقَةُ الْمَعْجِزَةُ سَبَبًا فِي إِيمَانِ الْكَثِيرِينَ
مِنَ الضُّعَفَاءِ بِصَالِحٍ ، وَالتَّفَاقُهِمْ حَوْلَهُ ..
وَحَاطَبَ صَالِحٌ قَوْمَهُ ، قَائِلًا لَهُمْ :



— إِنَّ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَتْرَكُوهَا

تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ فِي أَرْضِ اللَّهِ ، وَحَذَّرَهُمْ أَنْ يَمَسُّوا النَّاقَةَ
بِسُوءٍ ، حَتَّى لَا يَحُلَّ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللَّهِ وَعِقَابُهُ . .

وَكَانَ لِقَوْمٍ « ثَمُودَ » بَشَرٌ أَوْ عَيْنُ مَاءٍ يَشْرَبُونَ مِنْهَا
وَيَسْقُونَ دَوَابَّهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ ، فَقَسَمَ صَالِحُ الْمَاءِ
قِسْمَةً عَادِلَةً بَيْنَ الْقَوْمِ وَالنَّاقَةِ . .

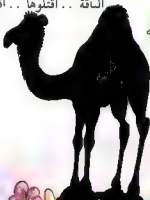
جَعَلَ صَالِحُ الْقَوْمِ يَشْرَبُونَ مِنْ عَيْنِ الْمَاءِ يَوْمًا ،
وَالنَّاقَةُ تَشْرَبُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي . . وَفِي الْيَوْمِ الَّذِي
لَا يَشْرَبُ فِيهِ الْقَوْمُ يَحْلُبُونَ النَّاقَةَ ، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا ،
بَدَلَ الْمَاءِ ، الَّذِي تَشْرَبُهُ النَّاقَةُ الْمَعْجِزَةُ . .

وَرَأَى الْكُفَّارُ وَالْمُعَانِدُونَ زِيَادَةَ أَتْبَاعِ صَالِحٍ ،
وَالْتِفَافَهُمْ حَوْلَهُ ، بِسَبَبِ هَذِهِ النَّاقَةِ الْمَعْجِزَةِ ، الَّتِي
طَالَبُوهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِهَا لِيُخْرِجُوهُ أَمَامَ أَتْبَاعِهِ . .

وَلِذَلِكَ اجْتَمَعَ زُعَمَاءُ الْكُفَّارِ ، وَفَكَّرُوا ، فَقَالَ
أَحَدُهُمْ :

– هذه الناقة كانت سبباً في إخراج مركزنا ، وتقوية
مركز صالح أمام أتباعه والمؤمنين به ..
وقال آخر :

– لا بدّ أن نتخلص من هذه الناقة ، حتى نقضي
على أسطورة صالح إلى الأبد .. اقتلوا هذه
الناقة .. اقتلوها .. اقتلوها ..



فقال ثالث :

- كَيْفَ تَقْتُلُ النَّاقَةَ ، وَقَدْ حَذَرْنَا صَالِحَ بَوْتَوَعِ الْعَذَابِ
بنا ، إِذَا نَحْنُ مَسَسْنَاهَا بِسُوءٍ ، فَمَا بِالْكُمْ لَوْ قَتَلْنَاهَا ۱۹
فَضَحِكَ الْقَوْمُ سَاخِرِينَ ، وَقَالَ كَبِيرُهُمْ :

- هَلْ صَدَّقْتُمْ مَا خَوَّفَكُمْ بِهِ صَالِحٌ .. سَنَقْتُلُ النَّاقَةَ ،
وَلَنْ نَعْبَأَ بِصَالِحٍ ، أَوْ يَتَهَذِّبَاتِهِ ..
وهكذا أَجْمَعَ الْكُفَّارُ عَلَى قَتْلِ النَّاقَةِ ..

وَبَحَثَ الْكُفَّارُ بَيْنَ أَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْمُجْرِمِينَ
وَالْأَشْقِيَاءِ ، عَمَّنْ يُوَكِّلُونَ إِلَيْهِ قَتْلَ النَّاقَةِ الْمُعْجِزَةِ ..
وَعَثَرُوا عَلَى أَشَقَى أَشْقِيَاءِ الْمَدِينَةِ .. كَانُوا سَبْعَةَ
أَشْخَاصٍ ، فَأَخَذَ الْكُفَّارُ يُقْرِئُونَهُمْ بِالْمَالِ ، حَتَّى
وَاثَقُوا عَلَى قَتْلِ النَّاقَةِ الْمُعْجِزَةِ ..

كَفَّنَ الْأَشْرَارُ لِلنَّاقَةِ ، وَهِيَ فِي طَرِيقِهَا إِلَى عَيْنِ الْمَاءِ ،
لَشَرْبٍ ، وَعَقَرُوهَا .. ذَبَحُوهَا .. ذَبَحُوا الْمُعْجِزَةَ ..

وَكَانَ صَالِحٌ عليه السلام قَدْ حَذَرَهُمْ مِنْ وَتَوَعِ عَذَابِ اللَّهِ
بِهِمْ ، إِذَا عَقَرُوا النَّاقَةَ .. وَلَمْ يُكْتَفِ الْكُفَّارُ

بِقَتْلِ النَّاقَةِ ، بَلْ ذَهَبُوا إِلَى صَالِحٍ ، سَائِسِينَ
وَمُسْتَحْفِينَ بِوَعِيدِهِ ، وَتَهْدِيدِهِ لَهُمْ ، فَقَالُوا لَهُ :

– لَقَدْ خَوَّفْتَنَا وَهَدَدْتَنَا بِوُقُوعِ الْعَذَابِ بِنَا ، إِذَا نَحْنُ
مَسَّنَا نَاقَتُكَ بِسُوءٍ .. لَقَدْ عَقَرْنَا نَاقَتَكَ ، وَلَمْ يَخْذَلْ
لَنَا أَيْ شَيْءٌ .. إِذَا كُنْتَ حَقًّا نَبِيًّا كَمَا تَزْعُمُ ، فَأَكُنَا
بِالْعَذَابِ ، الَّذِي كُنْتَ تَعِدُنَا ..



فَرَدَّ عَلَيْهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ صَالِحٌ عليه السلام قَائِلًا :

- لَقَدْ حَذَرْتُكُمْ وَأَنْذَرْتُكُمْ ، لَكِن كُنْتُمْ لَمْ تَسْتَمِعُوا
إِلَى نُصْحِي ، أَوْ تَعْمَلُوا بِتَحْذِيرِي .. يَا قَوْمُ لَقَدْ
أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ أَنَّ الْعَذَابَ سَوْفَ يَحُلُّ بِكُمْ
بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْآنَ .. تَمَتُّعُوا فِي دُورِكُمْ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ ، ثُمَّ يَأْتِيكُمْ بَعْدَهَا الْعَذَابُ ، وَيَحُلُّ عَلَيْكُمْ فِي
نَهَائَتِهَا الْعِقَابُ .. ذَلِكَ وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ صَادِقٌ وَغَيْرُ
مَكْذُوبٍ ..

أَنْذَرَهُمْ صَالِحٌ عليه السلام وَحَدَّدَ لَهُمْ هَذَا الْمَوْعِدَ لِوُقُوعِ
عَذَابِ اللَّهِ بِهِمْ ، رُبَّمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ فُرْصَةً
لِيُثْبِتُوا إِلَى رُشْدِهِمْ ، وَيَنْدَمُوا عَلَى كُفْرِهِمْ ، وَيَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ عَمَّا بَدَرُوا مِنْهُمْ .. لَكِنَّهُمْ ظَلَمُوا عَلَى
كُفْرِهِمْ .. كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ وَعْدَ صَالِحٍ لَهُمْ كَاذِبٌ ..
وَبَدَلِ التَّوْبَةِ طَلَبُوا مِنْ صَالِحٍ أَنْ يُعَجِّلَ لَهُمُ
الْعَذَابَ ، الَّذِي حَذَرَهُمْ مِنْهُ .. وَرَدَّ صَالِحٌ عَلَيْهِمُ
رَدًّا حَلِيمًا ، فَقَالَ لَهُمْ :

يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۚ

فَقَالَ الْكَافِرُ لَصَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

لَقَدْ تَقَالَمَ بَيْنَكَ ، وَبَيْنَ مَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ..

فَقَالَ الْكَافِرُ قَتَلَ صَالِحٌ ، لِيَتَخَلَّصُوا مِنِّي وَمَنْ دَعَوْتُهُ إِلَى

الْإِسْلَامِ .. وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَجَّى نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ ..

وَأَرْسَلَ عَلَى الْكَافِرِينَ صَاعِقَةً ، فَأَهْلَكَتَهُمْ جَمِيعًا ..

ورأى صالح ما حلَّ بقومه ، رأى جُثَّهُمُ الهامدة ،
 وديارَهُمُ الخربة ، فتولَّى والحزنُ يَمَلُّا نَفْسَهُ ، وقال :
 - لقدْ أَبْلَغْتُكُمْ رسالةً رُبِّى ، ونصَحْتُ لَكُمْ ، وَلَكِنْكُمْ
 كُنْتُمْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ..
 (تَمَّت)

رام الزمان : ٢٢٢٢

القرآن الكريم المكي : ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦



قصص الأنبياء

الكتاب التالي

إبراهيم عليه السلام

(١)

نشأته

أحرص على اقتنائه